مقياس المصادر
المحاضرة 9: المجاميع النقدية القديمة

تمهيد:

نستعرض في هذه المحاضرة **طائفة** من المصادر النقدية التي عنت بتدوين آراء أصحابها فيما أبدعه الأدباء واللغويون في كتبهم، فترجمت تلك المصادر النقدية لهم مسيرتهم ورصدت أعمالهم وصنّفتهم بحسب طبقاتهم وفحولهم وأعلامهم البارزين.، وقد أطلق عليها البض تسمية (التراجم)، ومع أنها تتراوح بين الإسراف في المدح أحيانا وبين الاقتضاب فيه لحدّ الذمّ والانتقاص، إلا أنها تعدّ - بحقّ- مرآة نقدية عاكسة لأعمال المتقدّمين من المبدعين العرب، وليس غريبا على القارئ أن يجدها تهتمّ بالشعر أكثر من اهتمامها بما سواه.فالشعر خزانة العرب والوعاء الحافظ لتراثها وكنوزها الأدبية والتاريخية..

1. طبقات الشعراء لابن سلاّم الجمحي (ت 232 ه)

تعريفه:

يُعرف بهذا الاسم وبغيره: طبقات فحول الشعراء، وطبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ، تتلمذ على يد الأصمعي والمفضل الضبي، ومن تلامذته: ثعلب والمازني، وأحمد بن حنبل.

منهجه:

صنّف الكتاب الشعراء في طبقات، فيستعرض تعريف الشاعر وشعره ويصنّفه مع أقرانه من الشعراء المقاربين له في الدرجة الشعرية، وهذا راجع للذائقة الأدبية لمؤلف الكتاب.

امتاز هذا الكتاب بمنهجه الدقيق المحكم برغم تقدّمه في عصره، كما عُرف بوضوح الخطة وحسن التقسيم، إذ ينقسم إلى قسمين كبيرين: مشاهير الشعراء الجاهليين، ومشاهير الشعراء الإسلاميين، وكأن ابن سلاّم وضع حدّا فاصلا بين العصرين الجاهلي والإسلامي، ولذلك قسم الشعراء المخضرمين بين قسميْ الكتاب ولم يُخصّ ص لهما قسما ثالثا.

عدد طبقاته:

وزّع ابن سلاّم الشعراء الجاهليين على 10 طبقات، وفي كل طبقة أربعة شعراء إسلاميين، مصنّفا إياهم في الطبقات ذاتها، مراعيا بذلك التوازن بين قسميْ الكتاب، اختصّ كل شاعر منهم بترجمة موجزة يعقبها قطوف من شعره وأخباره.

وقد أضاف ابن سلاّم بطبقاته العشر زمرا أخرى من الشعراء لم يُخضعهم لمبدأ الطبقات، وما صنّفهم هناك إلا لتقارب بينهم وبين شعراء الطبقات في المكان أو الزمان أو الموضوع، ومن هؤلاء: أصحاب المراثي كالخنساء، وشعراء الطائف والمدينة، فأضاف أربعة من أصحاب المراثي وخمسة من شعراء المدينة، وخمسة من شعراء مكة ، وخمسة من شعراء الطائف، وثمانية من شعراء اليهود، وثلاثة من شعراء البحرين. وبذلك بلغ عدد الشعراء في كتاب ابن سلاّم: 114 شاعرا.

نقد الكتاب:

من النقود الموجهة لهذا الكتاب أنه صنّف الشعراء وفقا لمقاييسه الذوقية دون أن يخضعها لميزان أدبي علمي، ودون أن يوضّح للقارئ سبب تصنيفه ذاك،
هذا الافتعال الصارم في تصنيف الشعراء في 10 طبقات وتحديد العدد 4 في كل طبقة، هو الذي دفع بالباحثين للتشكيك في نزاهة ابن سلاّم عند توزيع الشعراء على أبواب كتابه، فكيف يوضع بعض الشعراء في طبقات أعلى أو أدنى من غيرهم، علي أي أساس أو اعتبار فعل ذلك؟
ومن أمثلة ذلك: أنه صنّف طرفة العبد وعبيد بن الأبرص في الطبقة الرابعة بينما وضع عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة في الطبقة السادسة، كما وضع كثيّر في الطبقة الثنية وجميل بن معمر في الطبقة السادسة.

نقد المقدّمة:

ابتدأ الكتاب بمقدمة جليلة استعرض فيها ابن سلام بعضا من قواعد النقد الأدبي، ولعلها أقدم ما وضعه كتاب عربي في هذا المجال، فكانت منه خطوة رائدة في تقعيد النقد وتركيزه ومحاولة الخروج به من تلك النزعة التأثرية التي عُرفت في بدايات التأليف الأدبي، وغن كان ابن سلاّم ذاته قد وقع في بعض منها كما سبقت الإشارة لذلك.

2. الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت 276 ه)

يشبه هذا الكتاب من حيث قيمته الكتاب السابق لابن سلاّم، وقد سبق أن استعرضنا في المجاميع الأدبية كتاب (أدب الكاتب)لابن قتيبة.

منهج الكتاب:

اقتصر هذا الكتاب أيضا على استعراض طائفة من الشعراء دون أن يقوم بإحصائهم جميعا أو بالوقوف على جميع شعراء العصرين الجاهلي والإسلامي، كما امتاز هو أيضا بمقدمة نقدية حسنة تُعدّ من بواكير النقد الأدبي المُعلّل، والجديد

في كتاب (الشعر والشعراء) أنه سار وفق منهج التراجم لا وفق منهج الطبقات مثلما فعل سابقه ابن سلاّم، فكان يُترجم لكثير من الشعراء ومن بينهم شعراء محدثون في عصره، من أمثال: أبي العتاهية ومسلم بن الوليد ودعبل الخزاعي والعباس بن الأحنف، وقد راعى في ذلك الترتيب الزمن لظهور أولئك الشعراء.
لأجل ذلك جاء هذا الكتاب غزير النصوص يفوق في ذلك الكتاب السابق، فهو أقرب منه للمختارات الشعرة - مثلما عرفنا ذلك في محاضرة المجاميع الشعرية عند المفضل الضبي والأصمعي – منه إلى التراجم، كما أن ابن قتيبة كان يورد شيئا من التعريف بشخصية الشاعر وإنتاجاته الأدبية، كما كان يقف على النقود الموجهة لذلك الشارع حين يُترجم له.

من أقواله في المقدمة:

يقول ابن قتيبة: "هذا كتاب ألّفته في الشعر، أخبرت فيه عن الشعراء، وأزمانهم وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم، ومن كان يُعرف باللقب منهم أو بالكُنية، وعمّا يُستحسن من أخبار الرجل وما يُستجاد من شعره، وما أخذتْه العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم أو ما سبق إليه المقدّمون، فأخذه عنهم المتأخرون..."

ثم يردف قائلا: " وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب، والذي يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عزّ وجلّ وحديث رسول الله..."

افتتح ابن قتيبة كتابه بترجمة امرئ القيس فأطال فيه القول، يليه زهير بن أبي سلمى، فابنه كعب فالنابغة فالمسيّب فالمتلمّس فطرفة، وقد ترجم لشعراء من العصر العباسي من أمثال: ابن مناذر الذي عاش زمن هارون الرشيد، وكان آخر الشعراء في كتابه "أشجع السلمي" الذي اتّصل بالبرامكة، وبذلك بلغ عدد الشعراء الذين ترجم لهم ابن قتيبة 206 تراجم.

3. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني (ت 456ه)

نبذة عن المؤلف:

ابن رشيق أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني من أفضل البلاغيين والناقدين والأدباء والشعراء في تاريخ الأدب العربي، ولد في المسيلة وتسمّى المحمدية، أما عن أسرته، فليس للمؤرخين اهتمام به ولا بأسرته، وأما عن أبيه فقيل أنه كان روميًا ومولىً من موالي الأزد. عندما كان عمره ست عشرة سنة رحل إلى مدينة القيروان لأنها كانت

في قديم الزمان دار العلم في المغرب، واشتهر بها ومدح صاحبها المعز بن باديس واتصل بخدمته وأمضى أربعين عامًا ما بين حلقات العلم وقصره في المسجد، فعرف بالقيرواني.

كان ابن رشيق مسالمًا قنوعًا، يتجنب معاداة الناس، ولم يكن صاحب همة في التنقل سعيًا لمنصب أو عطاء وكان متدينًا إلى حدّ ما، أما عن سلوكه العلمي ففيه تواضع العلماء وأمانتهم، تتلمذ على عدد من علماء عصره، منهم؛ أبو الرجال القزاز، والحصري، والنهشلي، وله آثار منها: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده والشذوذ في اللغة وقراضة الذهب في نقد أشعار العرب، وطراز الأدب والممادح والمذام . وقد فقد معظم شعره، كما أن أكثر ما عثر عليه حتى الآن هو مقطوعات صغيرة لا تتجاوز بيتين، وشعره الذي وصل إلينا وإن كان ناقصًا يدل على أن ابن رشيق تناول فنونًا مختلفة، وقد طرق أكثر الأبواب الشعرية وأغراضها، منها؛ المديح والوصف، والعتاب والمجون

التعريف بالكتاب:

كتاب العمدة يعدّ العمدة في محاسن الشعر وآدابه من أشهر مؤلفات ابن رشيق القيرواني، والتي تنيف على ثلاثين كتابًا، وهو الكتاب الذي أشهره وخلَّد اسمَه من بين آثاره، وقد أراد له أن يكون موسوعة في الشعر ومحاسنه ولغته ونقده وأغراضه والبلاغة وفنونها، والذي لا بد للأديب من معرفته من أصول علم الأنساب، وأيام العرب، وبلدانها وملوكها وخيولها، وفيه 39 بابًا في البلاغة وعلومها، و59 بابًا في فصول الشعر وأبوابه، و9 أبوابٍ في فنون شتى. ومن أبوابه الممتعة والشيقة باب سرقة الشعر وأنواعها؛ كالاصطراف والسلخ، والانتحال، والغصب والإغارة، والمرادفة، والاهتدام، والإلمام، والموارد والاختلاس، قال ابن خلدون: "هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة، ولم يَكتب فيها أحدٌ قبله ولا بعده مثله".

ألف ابن رشيق كتابه ما بين عام 412 و425 هـ وأهداه لأبي الحسن بن أبي الرجال الشيباني الذي كان مربّي المعز بن باديس، ورئيس ديوان كتَّابه الذين كان منهم ابن رشيق، فرجع فيه إلى ما ينيف على الثلاثين كتابًا غير الدواوين، منها كتب ضاعت بأكملها؛ كالأنواء للزجاجي وطبقات الشعراء لدعبل، "وعلى كتاب العمدة معوَّل كل من طرق هذا الباب من الكتَّابّ".

القيمة النقدية لكتاب العمدة:

شخصية ابن رشيق ذات أثر واضح فـي النقد والأدب وتناوله في دراسته ابن خلدون في كتابه المقدمة، وأحمد أمين في كتابه النقد الأدبـي، وشوقي ضيف فـي كتابه فـي

النقد الأدبي، وهذا الكتاب النادر اشتمل على معظم فنون البلاغة. ذكر في المقدمة مولد ابن رشيق القيرواني عام 390ه، بالمسيلة، وهو من علماء القرن الرابع للهجرة، توفي عام 456ه، وقد اختلف العلماء في تاريخ وفاته، لكن الراجح ما ذُكر، تتلمذ على يد القزاز النحوي، وهو من أهل القيروان، وعلى يد أستاذه عبد الكريم النهشلي، ولقي الكاتب خصومًا بسبب الكتاب، حتى اتهمه بعضهم بالسرقة والتخطئة، مما اضطر المؤلف لتحديهم بأن يأتوا بمثله، ومما ذكره في المقدمة حبه للسلف والدفاع عنهم، وعن منتجاتهم، وذكر سبب الانصراف عن السلف أولها الانبهار بعلومه، ثانيها كتب أسلافنا تظهر بصورة متسخة بسبب باعة الكتب.

فصول كتاب العمدة:

فيما يأتي فصول كتاب العمدة:

- باب فضل الشعر.
- باب في الرد على من يكره الشعر: ذكر في الباب ما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة على من يكره الشعر.
- باب في أشعار القضاة والقضاء والخلفاء وذكر عمر بن الخطاب والإمام الشافعي.
- باب من رفع الشعر ومن وضعه: يرفع من قدره إذا مدح به ويضع من قدره إذا اتخذه مكسبًا.
- باب من قضى عليه الشعر وقضى له.
- باب شفاعات الشعراء وتحريضهم، فما زال الشعراء قديمًا يشفعون عند الملوك والأمراء لأبنائهم وذوي قرباتها فيشفعون بشفاعتهم ويحصلون على الرتب منهم.
- باب احتماء القبائل بشعرائها: فقد كان الشعراء يحملون قبائلهم، وتلك القبيلة كانت تضع قدرًا كبيرًا لذلك الشاعر .
- باب فأل الشعر وطيرته : اذ تفاءل حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة.
- باب منافع الشعر ومضاره.
- باب التكسب في الشعر: كانت العرب لا تتكسب بالشعر، إلا عندما جاء الأعشى جعله متجرًا.
- باب تنقل الشعراء في القبائل: إذ كانت العرب تتنقل بأشعارها.

- باب المشاهير من الشعراء ومن أشهرهم امرؤ القيس.
- باب المقلين من الشعر والمغلبين: ومن المقلين في الشعر طرفة ابن العبد، وعلقمة، وعبيد ابن الأبرص، والعديد من الأبواب الأخرى.

4. **دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت471 ه)**

التعريف بالمؤلف:

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ولد عام 400 هـ كان باحثًا فارسيًا مشهورًا في اللغة العربية، ومنظر أدبي، ومعلم نحوي، ومعلم شافعي، ولد في مدينة جرجان في إيران، درس خارج جرجان، وتعلم النحو والأدب.

تلقي العلم من أبي الحسين محمد الفارسي، والأدب على يد القاضي الجرجاني، ترك آثاراً في الأدب والشعر، والنحو وعلوم القرآن الكريم، كتب الكثير من ديون الشعر والكتب فى الصرف والنحو، ومن أفضل هذه الكتب "الإيضاح في النحو"، وكتاب "الجمل"، أما في الأدب والقرآن الكريم كتب كل من "دلائل الإعجاز" و"إعجاز القرآن" و"الرسالة الشافية في الإعجاز" و"أسرار البلاغة."

محتوى الكتاب:

كتاب دلائل الإعجاز يضم نظرية الجرجاني في البلاغة، نظرية النظم، ويعد من أهم كتب إعجاز القرآن الكريم، حيث يبين أهمية النحو والبلاغة، ومعناهم بالاستعانة بالقرآن الكريم.

- يوضح الجرجاني أن القاعدة الصحيحة للدارس هي معرفة مستخلصة من الألفاظ ونحوها، لأنه لا يمكن الوصول إلى فهم الألفاظ وارتباطاتها ببعضها إلا بالنحو، وقال إن الجهل بالنحو ناتج عن كون زمانه قد تغير إلى أسوأ.
- شرح الكاتب النحو وأهميته من خلال التحدث عن نظرية النظم، فلا يمكن فهم النحو إلا بفهم أصول النحو لمعرفه معني الكلمة وسياقها في الجملة والغرض منها.
- يوضح أنه لا يمكن إدراك قيمة اللغة إلا من خلال موقعها النحوي أولاً، ثم من خلال موقعها في سياق الكلام.
- قيل عن إعجاز القرآن والاعتراف بيه من قبل العرب «وأنهم رأوا أنفسهم فأحسنوا بالعجز أن يأتوا بما يوازيه أو يدانيه أو يقع قريبا منه، وكان محالا أن يدعوا معارضيه وقد تحدوا إليه«
- استعان الجرجاني بأمثلة من القرآن الكريم على صحة نظرية النظم مثل قول الله تعالى: (وقيل يا أرض أبلعي ماءك ويا سماء أقلعي، وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي، وقيل بعدا للقوم الظالمين)
- قال الجرجاني أن لا فضل لحرف على حرف، أو اسم على اسم، أو كلمة على كلمة، وأن الكلمة المجردة لا تفضل ولا تحسن.

- تحدث عن حسن التنكير والتعريف في القرآن الكريم واستعان بقول الله تعالى (ولكم في القصاص حياة)
- يبدأ عبد القاهر مقدمة الكتاب بتوضيح فضل العلم عامة، وفضل علم البيان خاصة، مع توضيح أهميته وجهل الناس بحقائقه، ويبين غرضه من معرفة الإعجاز ليس من جاء في علم البيان، أو المصطلح الذي عرفه علماء البلاغة، بل يريد معرفة أصل الأداء اللغوي البياني عند العرب.
- تحدث في أحد الفصول عن أخطاء الناس الذين يزهدون في الشعر، أو في النحو، أو في العلم بمعاني البيان والبلاغة والفصاحة، فاعتبر هذا خطأ، لأنه إذا استحسن الإنسان شيء فيجب أن يكون لاستحسانه هذا سبب معروف.
- ذكر أيضاً أهمية البلاغة ومعناها، والبيان، والفصاحة، وذكر أن فصاحة الكلمة المفردة لها أسباب معلومة، ثم ذكر في فصل آخر أن الغرض من نظم الكلام أن تتناسق دلالتها وليس أن توالت ألفاظها في النطق.
- ثم يعرض في فصول آخر بلاغة اللفظة المفردة، حيث عرض أوجه كثيرة منها مثل الاستعارة، والمجاز، والتمثيل، والكناية، ثم يعرض وجوه بلاغة النظم كالاستفهام، والوصل، والفصل، والتقديم والتأخير، والتنكير، والتعريف، والقصر، وشرح المجاز العقلي وبلاغته، وقام بشرح أيضاً بلاغة النظم التي أخذت الكتاب كله، فاقتصر الكتاب على شرح نظريته في النظم وكيفية تطبقها.

5. منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني (ت684ه)

التعريف بالمؤلف:

يعد حازم القرطاجني أحد أئمة المالكية في مُرْسِية؛ فقد جمع إلى جانب العلوم الفقهية النحو على طريقة أهل البصرة؛ كما كان محدِّثا وراوية للأخبار والآداب، شاعرا نابها، كذلك كان له اهتمام بدراسة المنطق والخطابة والشعر، فكان أن قرأ مصنفات ابن رشد والفارابي وابن سينا، إلى جانب اطلاعه على الثقافات اليونانية التي يستطيع قارئ كتابه أن يحدد معالم هذه الثقافة بشكل واضح وجلي .

فنحن إذا أمام شخصية متميزة استطاعت أن تكون مرجعا في العربية والعروض والبلاغة والنقد فضلا عن كون هذه الشخصية تمارس التجربة الشعرية؛ فقد عُرِف عن حازم أنه كان شاعرا كبيرا، وله قصائد مدحية في بعض أمراء الدولة الموحدية في الأندلس إلى جانب قصيدته المشهورة (المقصورة) التي عارض فيها مقصورة ابن دريد وبلغ تعداد أبياتها ستة وألف بيت. ترك لنا حازم عددا من المصنفات التي تتصل بعلوم العربية والبلاغة والعروض بعضها مما لم يصل إلينا وبعضها ما نحن بصدد دراسته وهو كتاب

محتوى الكتاب

يشير حازم في مقدمة كتابه فضلا عن مواطن كثيرة منه إلى أنه أراد من تأليفه لهذا الكتاب أن ينهض بالشعر العربي في عصره من الضعف الذي تردى إليه؛ فكان عليه أن يوضح المنهاج للبلغاء ويضع لهم السراج.

هذا إلى جانب استخدامه في تقسيمه للكتاب إلى مصطلحات تدل على العنوان وهي على الترتيب الذي استخدمه بعناية فائقة : **منهج _ مَعْلَم _ مَعْرَف _ إضاءة _ تنوير _ مَأَمَّ**

وغير خافٍ أن المنهج والمعلم والمعرف والمأم إنما يرتبط بفكرة الجزء الأول من العنوان (منهاج) في حين ترتبط الإضاءة والتنوير بفكرة الجزء الثاني من العنوان (السراج).

حاول حازم في كتابه أو (منهاجه) أن يكون حريصا على أن يبين للدارسين أسس الجودة الشعرية عند العرب مشفوعة بالقوانين البلاغية المستندة إلى الأصول المنطقية والحِكْمِية؛ وكأنه يسعى أن يعلِّم متعاطي الصنعة الشعرية كيف ينشيء شعرا جيدا .

فالمنهاج يصور لنا حازما شديد الضيق بشعراء زمانه والزمان الذي سبقه بقرنين ولاسيما شعراء المشرق الذين يقول عنهم: ((**فلم يوجد فيهم على طول هذه المدة مَنْ نحا نحو الفحول، ولا مَنْ ذهب مذهبهم في تأصيل مبادئ الكلام وإحكام وضعه وانتقاء مواده التي يجب نحته منها. فخرجوا بذلك عن مَهْيَع الشعر ودخلوا في مَحْض التَّكلُّم**))؛ هذا أولا .

أما ثانيا : فإن حازما رام أيضا إصلاح الأذواق المنتجة للشعر والمتَّلقية له في عصره وذلك من خلال ردِّها إلى القوانين البلاغية الصحيحة لتميز بها ما طاب من الكلام مما خَبُثَ ؛ وهذا ما يصرح به في قوله : ((**وإنَّما احتجتُ إلى هذا؛ لأن الطباع قد اختَّلت والأفكار قد قصرَّت، والعناية بهذهِ الصناعة قد قلَّت، وتحسين كل من المدَّعين صناعة الشعر ظنّه بطبعه، وظنَّهُ انه لايحتاج في الشعر إلى أكثر من الطبع، وبنيته على أنَّ كل كلام مقفى موزون شعرٌ جهالةً منه أن الطباع قد تداخلها من الاختلال والفساد أضعافُ ما تداخل الألسنة من اللحن؛ فهي تستجيد الغثَّ وتستغثُّ الجيد من الكلام ما لم تُقمع بردِّها إلى اعتبار الكلام بالقوانين البلاغية، فيُعلم بذلك ما يُحسن وما لا يحسُن**)) .

منهج الكتاب ومادته :

يتألف (المنهاج) من أربعة أقسام رئيسة؛ ضاع أولها وإلى يومنا هذا وقد جعل كل قسم من الأقسام الباقية في أربعة فصول أطلق عليها مناهج واحدها منهج وداخل كل (منهج) يفصّل حازم القضايا باستخدام عناوين جزئية تأخذ مصطلحات : مَعْلَم، مَعْرَف، وفي استخدام (المَعْلَم) يقول حازم : ((**مَعْلَمٌ دالٌ على طريق العِلْم بكذا ....**))

وفي استخدام (المَعْرَف) يقول : ((**مَعْرَف دال على طرق المعرفة بكذا**))

وداخل كل (معلم) و (معرف) يتخدم عناوين جزئية تحمل مصطلحات : إضاءة _ تنوير .
أما (المأم) فهو الذي يلخص فيه القانون البلاغي المستفاد مما عرضه في المعلم والمعرف؛ ويقول في استخدامه : ((**مَأَمٌّ من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعلم .....**))
يشير محقق الكتاب (محمد الحبيب بن الخوجة) إلى أن القسم الأول من الكتاب - وهو القسم المفقود- ربما يتعلق بقضايا تتصل ((**بالقول وأجزائه، والأداء وطرقه، والأثر الذي يحصل للسامعين عند صدور الكلام**))
أما القسم الثاني من الكتاب فموضوعه المعاني الشعرية والقوانين البلاغية التي تُعرف بها أحوالها من جهة ملاءمتها للنفوس أو منافرتها لها .
على حين جاء القسم الثالث ليتناول موضوع النُّظم والقوانين البلاغية التي تُعرف بها أحواله من جهة ملاءمتها للنفوس أو منافرتها لها .
أما القسم الرابع فموضوعه الطرق الشعرية، وما تنقسم إليه وما يُنحى بها نحوه من الأساليب، والتعريف بمآخذ الشعراء في ذلك كله، والقوانين البلاغية التي تُعرف بها أحوال الكلام المخَّيل المقفى الموزون في ذلك كله من جهة ملاءمته للنفوس أو منافرتها لها .
مما تقدم يتضح أن الأقسام الثلاثة التي وصلت إلينا إنما تهتم بالوقوف عن المعاني الشعرية، والمباني الشعرية، والأساليب الشعرية.
وبهذا يتضح ان حازم يعد من أنضج الذهنيات النقدية العربية التي وقفنا عندها، فقد حاول أن يكمل ما بدأه قدامة بن جعفر من وضع علم لجيد الشعر ورديئه؛ فضلا عن كونه ناقدا بلاغيا قدّم صورة للنقد البلاغي قلما نظفر بها عند غيره؛ منطلقا من تصور مفاده أن الشعر وسيلة للتأثير في النفوس وتحريكها نحو أمر من الأمور قبولا أو رفضا. وبهذا يمثل (المنهاج) إنجازا نقديا كبيرا شمل القدر الأكبر من كليات الصنعة الشعرية وجزئياتها .

6. المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر لابن الأثير (ت 637ه)

يعدّ كتاب «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» لأبي الفتح، ضياء الدين، نصر الله بن محمد الشيباني، المعروف بابن الأثير الكاتب المتوفى -637ه إحدى أمهات الكتب في الأدب والبلاغة والنقد، التي لم يكن يستغني متأدب أو كاتب أو شاعر قديماً عن النظر فيها، ولا تزال إلى اليوم تغذي نهم كل من يريد أن يطلع على فنون الأدب العربي القديم، وكل من يريد أن يتعلم أساليب الكتابة الأدبية، وذلك لما حوى هذا المؤلَّف القيم من الآراء التي تدور حول صناعة الكتابة، وتتعمَّق في أصولها في عصر ابن الأثير، وفي العصور التي سبقته، مقدماً جرداً موسوعياً لما استقرت عليه لدى

العلماء وكبار الأدباء والنقاد ممن سبقوه وعاصروه، مازجاً ذلك بآرائه الخاصة وترجيحاته الذكية في فنون الأدب وتقنيات الكتابة، مع استشهادات من روائع النصوص التي خلفتها تلك العصور، فجمع كتابه بين الرأي والتطبيق، وحسن الاختيار، وجاء خلاصة لقرون عديدة من صناعة البلاغة العربية، هي قرون الصفاء والمجد الإبداعي في تاريخ الأدب العربي.

يظهر كتاب «المثل السائر» ما يتمتع به ابن الأثير من موسوعية علمية لا تقتصر على علم الأدب وما يرتبط به من نحو وبلاغة وشعر ونقد، بل تتجاوزه إلى سائر العلوم التي كانت تسود في عصره، من علوم القرآن والشريعة، وعلوم الفلسفة والمنطق والتاريخ والفلك وغيرها، كلٌّ يأخذ منه ابن الأثير بحظ محققاً شرط القدماء في أن الأدب هو الأخذ من كل علم بطرف، غير أن كل ذلك موظف لإبراز آراء الكاتب في فنون الكتابة الأدبية التي هي تخصص ابن الأثير الأول وملعبه الذي برّز فيه، ويشترط ابن الأثير للكاتب في عصره أن يطلع على عدة مجالات ويتعمق في معرفتها، تدخل في مجملها في المفهوم الموسوعي القديم للأديب، الذي يجعل منه عالماً متبحراً في عدة فنون اللغة والبلاغة والشعر والنثر، والتاريخ والشرع والأحكام السلطانية والإدارة بشكل عام، وهي شروط تبدو اليوم عسيرة لكنها كانت ضرورية لازمة للكتاب في ذلك العصر، خصوصاً وأن الكتابة كانت وظيفة خطيرة، فالكاتب يتولى ديوان الإنشاء للخليفة أو الملك أو السلطان، الذي يتكفل بكتابة رسائلهم ومخاطباتهم وقراراتهم الرسمية، وكان ابن الأثير نفسه كاتباً في ديوان الأيوبيين، وهي مسؤولية خطيرة تحتاج إلى علم وحكمة ودقة في اختيار الألفاظ وصناعة الأساليب.

يعتبر كتاب (المثل السائر) درساً في فن الأدب، يقدم للمبتدئين أصول هذه الصناعة، والخصائص التي يرتكز عليها أهم نوعين فيها، وهما الشعر والنثر، يقدم آراءه في أسباب القوة والضعف في كليهما، مستشهداً في ذلك بفحول الشعراء والكتاب الذين كان لهم أثر في تاريخ الأدب، كما يعتبر أيضاً كتاباً نقدياً؛ لأنه يفيض بكثير من الأفكار والآراء الحرة في الأدب والأدباء، ويقدم آراء نقدية خاصة به في أشعار فحول الشعراء كامرئ القيس، وتأبط شراً، والفرزدق، وأبي نواس وأبي تمام، وأبي الطيب المتنبي، وغيرهم من كبار شعراء العربية، وفي كثير من الأحيان تكون آراؤه موضوعية، وفي أحيان أخرى يصدر عن ذاتية وذوق خاص به، لكن آراءه في الأغلب عميقة وتدل على حصافة رأي.

يقول ابن الأثير في مقدمة كتابه، متحدثاً عن قيمة الاطلاع على كتابات السابقين بالنسبة لمن يريد أن يتأدب: "وأما النوع الرابع: وهو الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور، فإن في ذلك فوائد جمّة؛ لأنه يعلم منه أغراض الناس، ونتائج أفكارهم، ويعرف به مقاصد كل فريق منهم، وإلى أين ترامت به صنعته في ذلك، فإن هذه الأشياء مما تشحذ القريحة، وتُذْكِي الفطنة"

فهذه مجموعة بسيطة من المجامع النقدية العربية ويمكن للطالب الاطّلاع على المزيد منها، فهناك عدة مصادر نقدية عربية من مثل:

- طبقات الشعراء لابن المعتز
- أحكام صنعة الكلام للكلاعي
- يتيمة الدهر للثعالبي
- معجم الشعراء للمرزباني